مجلةروافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية /المجلد 07/ العدد 02 (2022 م):31-52
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/806

إعادة تأهيل المباني الأثرية كمتاحف ودورها في التنمية السياحية

Rehabilitation of archaeological buildings as museums and their role in tourism development

د. شابلي فاهمة

جامعة المدية (الجزائر)، البريد الالكتروني: f.chaabli@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/28 تاريخ القبول: 2022/12/12 تاريخ النشر: 2022/12/20

ملخص

تتناول هذه الدراسة المباني السكنية العثمانية التي قد تم إعادة تأهيلها بوظائف متحفية، ونخص بالذكر "دار الباي" بولاية المدية الذي أصبح متحفا للفنون والتقاليد الشعبية بالمنطقة، حيث تم التركيز على المباني ذات النسق العمراني العثماني باعتبار مدينة المدية إحدى المدن التي استقر بها الأتراك وأقاموا عليها منشآتهم، وتشير بعض المعطيات الأثرية والحالية إلى وجود استمرارية في استعمال هذا المبنى حيث تم تحويله إلى متحف وطني في وقتنا الراهن تشرف عليه مديرية الثقافة التابعة للولاية.

إنّ إعادة الحياة لمعلم أثري، تستوجب إعادة ترميمه واستغلاله بطرق جادّة تخدم المجتمع خاصة من الناحية السياحية والثقافية، وعليه فعملية استغلال "دار الباي" كمتحف في الفترة الحالية بالولاية بات أمرا هامّا للحفاظ على ما خلفه السلف وإيصاله للأجيال اللاحقة.

تعتبر التنمية السياحية لمواقع التراث العمراني من أهم روافد السياحة، هذا من خلال إظهار ثقافة الحضارات المختلفة واستنباط المعلومات، كما أن سلوكيات المجتمع المحلي وإدراكهم لأهمية هذه المواقع والتعاون مع الجهات المسؤولة عن التطوير تعتبر من أهم العوامل المؤثرة في عملية التنمية.

كلمات دالة: إعادة التأهيل، المباني الأثرية، متحف المدية، السياحة الأثرية.

المؤلف المرسل: شابلي فاهمة f.chaabli@gmail.com

Abstract-

This study deals with the Ottoman residential buildings that had been rehabilitated with museum functions, especially the "Dar Al-Bey" in the state of Medea which became a museum of arts and folk traditions in the region. Indeed, the focus was on the buildings of the Ottoman urban style, considering the city of Medea one of the cities in which the Turkish settled and built their facilities on it. Some of archaeological and current data indicate that there is continuity in the use of this building, as it has been converted into a national museum, supervised by the State's Directorate of Culture. The restoration of life for an archaeological landmark requires restoring and exploiting it in serious ways that serve the community, especially in terms of tourism and culture.

Therefore, the process of using "Dar El Bey" as a museum in the current period has become an important matter to preserve what was left by the predecessor and pass it on to the present generations.

The tourism development of urban heritage sites is one of the most important tributaries of tourism, through showing the culture of different civilizations and deducting information about the behavior of the local community and their awareness of the importance of these sites and cooperation with the authorities responsible for development is one of the most important factors.

Key words: *rehabilitation, archaeological buildings, Medea Museum, archaeological tourism.*

1- مقدمة

تحمل المباني الأثرية الرائعة رسالة روحية عن ماضي الشعوب، وتبقى بالنسبة لمجرى الحياة شاهدا حيا على التقاليد العريقة لها، حيث تعتبر هذه المخلفات تراثا مشتركا يستوجب المحافظة عليه وصيانته وتبليغه بكامل عناصره وأصالته للأجيال اللاحقة.

يتضمن مفهوم المعلم التاريخي الذي يندرج ضمن الممتلكات الثقافية المادية العقارية، الهيكل المعماري المنعزل، والموقع الحضري أو الريفي الذي يحمل طابعا

لحضارة خاصة أو لحدث تاريخي، وهو لا يعني الأعمال الكبرى فقط، بل أيضا الأعمال البسيطة التي اكتسبت بتقادم الزمن هوية ثقافية. حيث تعدّ هذه الأخيرة تراثا ثقافيا للأمة والتي لا تزال تعرب عن نفسها منذ الأزمنة الغابرة إلى يومنا هذا.

لمدية، لبديه، لمبيديا، ميدياس، المدية تسمية اختلف فيها المؤرخون وقد تعددت الروايات في صيغة الاسم ونسبه وفي تاريخه، فهل المدينة من "لمبيديا" القرية الرومانية التي سبقت في نفس المكان مدينة المدية، وهل هي كلمة بربرية كما زعم بعضهم وقال أنّ معناها "العلو"، "الأرض المرتفعة"، وهل رواية ابن خلدون هي الصحيحة (كتاب العبر الجزء 7) وقد قال في حديثه عن "عثمان بن يغمراسن الزياني" 681هـ-703هـ، "نهض يغمراسن إلي المدينة وبها أولاد عزيز من توجين وهم بربر من زناتة فنزلها وقام بدعوته فيها قبائل يعرفون بالمدية وإليهم تنسب" (ابن خلدون، 1999، صفحة 192).

تقع ولاية المدية جنوب ولاية الجزائر العاصمة على بعد 88كلم، تتربع على مساحة قدرها 8700كلم^2 يحدها شمالا ولاية البليدة، شرقا ولايتي المسيلة والبويرة، غربا ولايتي عين الدفلى وتسمسيلت وجنوبا ولاية الجلفة.

إنّ إعادة الحياة لمعلم أثري، يستوجب إعادة ترميمه واستغلاله بطرق علمية جادّة تخدم المجتمع خاصة من الناحية الثقافية، وعليه فعملية استغلال دار الأمير كمتحف في الفترة الحالية بالولاية بات أمرا مهمّا للحفاظ على ما خلّفه السلف وإيصاله للأجيال.

وتشير بعض المعطيات الأثرية والحالية إلى وجود استمرارية في استعمال هذا المبنى الأثري حيث تمّ تحويله إلى متحف وطني في وقتنا الراهن، تشرف عليه مديرية الثقافة التابعة للولاية.

1.1- التعريف بالموضوع وأهميته:

تتناول هذه الدراسة المباني السكنية العثمانية في مدينة المدية والتي تمّ إعادة تأهيلها بوظائف متحفية ونخص بالذكر "قصر الباي التيطري" المعروف "بدار الأمير عبد القادر الجزائري"، وهو أحد أهمّ وأبرز المعالم التاريخية في مدينة المدية. حيث تمّ التركيز من خلال هذه الدراسة على المباني الأثرية ذات النسق العمراني العثماني، لأنّ هذه المرحلة تركت أثرا بالغا في المدينة.

تمّ تصنيف هذه الدار كمعلم أثري تاريخي في يوم 09 مارس 1993م بموجب الجريدة الرسمية العدد رقم 43 الصادرة بتاريخ 09-03-1993م، ونظرا لأهمية هذا المعلم وتدهور حالته، قامت مديرية الثقافة لولاية المدية باقتراح مشروع دراسة وترميم لهذا المعلم سنة 2000م، حيث انطلقت أشغال الترميم سنة 2004م لتنتهي خلال سنة 2007م.

وتمّ تحويل هذا المعلم الأثري عام 2008م إلى ما يعرف "بمتحف الفنون والتقاليد الشعبية لولاية المدية" بموجب المرسوم التنفيذي رقم 10-263 المؤرخ في 21 أكتوبر سنة 2010م والذي يتضمن إنشاء متحف جهوي للفنون والتقاليد الشعبية بولاية المدية، المرسوم التنفيذي رقم 11-352 المؤرخ في 05 أكتوبر سنة 2011م يتضمن إنشاء المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالمدية.

2.1- الإشكالية العامة:

تشكل المباني العثمانية المنتشرة ضمن النسيج العمراني للجزائر بصفة عامة والمدية بصفة خاصة جزءا مهما من طابعها الثقافي وذلك لما حظيت به الجزائر من اهتمام معظم السلاطين والولاّة العثمانيين. إنّ إبراز صورة هذا المبنى والهندسة المعمارية التي تميّزه من خلال المعطيات التاريخية وأهميته الأثرية، كان من بين الأسباب التي حفّزتنا لاختيار هذه الدراسة، وتأسيسا على ما سبق تأتي هذه الدراسة كمحاولة بحثية لتثير إشكالية رئيسية والتي يمكن صياغتها كالآتي: **ما مدى قابلية دار الباي بالمدية**

لاحتواء الوظيفة المتحفية دون إلحاق الضرر بالمعلم بعد إعادة تأهيله، وكيف ساهم في تنمية قطاع السياحة بالمنطقة؟

وللإجابة على الإشكالية المطروحة وجب طرح مجموعة من التساؤلات، نذكر من أبرزها:

- إلى أيّ مدى تتناسب دار الباي مع الوظيفة المتحفية؟
- ما الهدف من إعادة توظيف المباني التاريخية كمتاحف؟
- مدى نجاح توظيف دار الباي كمتحف؟
- كيف ساهم في تنمية وجلب السياحة للمدينة؟

3.1- منهجية البحث:

اعتمدنا في هذه الدراسة العلمية على منهجين المنهج النظري والمنهج الوصفي التحليلي، ويتمثل المنهج النظري في استقراء المعطيات التاريخية والأحداث والأعمال المنجزة بقصر باي التيطري، والمنهج الوصفي التحليلي يتمثل في العمل الميداني والدراسة الوصفية للموقع ويتجلّى ذلك من خلال زيارة الموقع.

2- تعاريف عامة حول إعادة تأهيل المباني الأثرية:

يعرّف دستور المجلس الدولي للمتاحف الإيكوم (ICOM) مصطلح (Musiom) بأنّه: "أيّ مؤسسة تقام بشكل دائم بغرض الحفظ والدراسة والتسامي بمختلف الوسائل، وعلى الخصوص بعرض مجموعات فنية أو تاريخية أو علمية أو تكنولوجية على الجمهور من أجل تحقيق المتعة والسرور (أدامز فيليب وآخرون، 1993، صفحة 38).

يعتبر الحفاظ على التراث الحضاري المعماري مطلبا عالميا تسعى إليه جميع الدول، وتتنافس من أجل الحفاظ على هذا الجزء المهمّ من ثقافتها خاصّة في عصرنا هذا الذي أصبح أشبه بالقرية الكونية الصغيرة ممّا زاد أهمية التراث المعماري باعتباره تجسيدا ماديا لحضارة الشعوب والحفاظ على هويتها، وسوف

نسلّط الضوء في هذه الفقرة على أسلوب إعادة توظيف المباني التاريخية ونقارنه بمجموعة من المفاهيم المشابهة من أجل تحديد هذا المفهوم الجديد.

1.2- مفهوم إعادة التوظيف:

إنّ مصطلح "إعادة التوظيف" ظهر في العشرية الأخيرة لذلك فهو لا يزال مرتبطا ومتقاطعا مع بعض المفاهيم المشابهة التي تعبّر عن نفس الفكرة مثل "إعادة التأهيل"، "التجديد" وهذا التقاطع والتداخل بين المصطلحات والمفاهيم يزيد من الصعوبة الموجودة بين الثنائية " المعلم" و"الوظيفة" التي لن تنجح إلاّ إذا كان هناك تلاؤم وموافقة ما بين الشكل الموجود من قبل، والوظيفة الجديدة التي من أجلها تمّ إعادة تأهيله.

2.2- مفهوم إنعاش المباني:

الإنعاش هو إعطاء روح للتجمعات العمرانية أو الريفية المهدّدة بخطر الزوال، وإنعاش المعالم يهدف إلى إحيائها وتجديد الانتفاع بها (Choay, merlin, 2005, p. 746).

3.2- مفهوم إعادة التأهيل:

عرّف "ميثاق لشبونة *Charte de Lisbonne*"سنة 1955م، إعادة التأهيل على أنّها: "مجموعة من الأعمال التي تهدف إلى إرجاع المبنى إلى حالته السابقة بعد القضاء على جميع التشوّهات على مستوى مواد البناء، المستوى الوضيفي، النظافة والأمن، التي تراكمت على مدى سنوات وجعله أحسن بتحديثه من أجل إعادة شغل وظائفه ولتقريبه من متطلبات العصر الحديث" (Charte de Lisbonne، 1955).

4.2- مفهوم إعادة الاستعمال:

أشار "ميثاق بورا" إلى هذا المفهوم: "الاستعمال يعني الوظائف والنشاطات والأعمال التي يستقبلها المكان، وتتمّ إعادة الاستعمال بوظيفة متلائمة تحترم القيمة الثقافية للمكان".

5.2- مفهوم إعادة التكييف:

حسب ميثاق بورا *Charte de bura* التكييف يتضمّن تعديل مكان من أجل أن يستجيب لنزعته الحالية، واستعمال مقترح التكييف مقبول فقط عندما يكون هنالك تأثير بسيط علي القيمة الثقافية للمكان الأثري (ICOMOS، 1999).

6.2- مفهوم إعادة الشغل:

هذا المفهوم عادة ما يستعمل للتعبير عن إعطاء وظيفة جديدة للمعلم بطريقة "عنيفة" من أجل تكييفه معها، غالبا ما يتمّ تطبيق هذه العملية من دون أن يراعى المعلم أو محيطه، وهذا يعني أنّ الوظيفة الجديدة يمكن أن تسبّب تخريب المعلم وانقطاعه عن محيطه الاجتماعي والاقتصادي وكذلك الثقافي (شتيح، 2011 ، صفحة 120).

3- المتاحف المقامة على المباني الأثرية:

1.3- أنواعها:

تنقسم العمارة إلى عدّة أنواع وذلك وفق تصنيفها الوظيفي إلى المباني الدينية، المباني السكنية، المباني التجارية والمباني العسكرية، وغالبا ما نجد في كلّ نوع متحف مقام عليها (العابدين، 2010، صفحة 18).

2.3- مشاكلها:

تعدّ ضرورة الموازنة بين الواجب في احترام العمارة وما تقتضيه من تهيئة عصرية في إطارها الأصلي من خلال توظيفها من أهمّ المشاكل والمصاعب الميدانية التي

يمكن أن تواجه الفريق المسؤول عن إعادة التهيئة، حيث تقف الحالة القانونية للبناية التاريخية حائلا دون إجراء تعديلات على هيكل البناية، فالمواثيق الدولية والمؤتمرات العلمية قد وضعت بعض المعايير والقواعد التي تنظم وتخدم عملية إعادة استخدام المباني التاريخية وفقا لما تنص عليه هذه القوانين والقواعد.

والقيام بعرض المجموعات المتحفية ضمن المباني التاريخية له الكثير من الصعوبات والمشاكل والعقبات خاصة أنّ المبنى التاريخي لم يشيّد لهذا الغرض، ممّا يدفع المعماري المصمّم للعرض أن يدرس إمكانيات ومرونة المبنى ومدى تناسب المعروضات مع الفراغ الداخلي المتوفر والموجود إضافة إلى أشكال ووظائف تلك المعروضات، ومن بين هذه المشاكل نذكر:

- طبيعة مواد البناء بالنسبة لهذا النوع من المباني غالبا ما تكون هشّة، ومبنية بطرق وتقنيات ومواد تقليدية قديمة (نادية بلقندوز، كريمة بوشيخي، 2006، الصفحات 19-20).
- طبيعة العرض وتتبّع التسلسل التاريخي، ففي أغلب الأحيان لا يُراعى وذلك تفاديا للضغط الذي يمكن أن يقع على البناية ،فتوضع عادة في مثل هذه البنايات التحف أو القطع كبيرة الحجم في الطابق الأرضي حتى لا يؤثر ثقلها عليها.
- صغر القاعات الداخلية وعدم ملاءمتها من حيث التصميم.
- وجود جدران داخلية فاصلة تمنع وتعيق حركة الدوران الانسيابي.
- التقيّد بشروط المبنى وظروفه.
- تعذّر تطبيق طرق العرض المتحفية الحديثة في المباني التاريخية القديمة وذلك من حيث الصعوبات في عدم توفر الإضاءة المناسبة، وعدم تمديد شبكة الإنذار الضرورية وصعوبة إدخال الطرق الحديثة في المباني القديمة فيما يتعلق بالتهوية والتدفئة مثلا.

- تعذر فتح أبواب جديدة في المباني التاريخية القديمة لتسهيل تنقل الزوار بين أقسام المبنى وأجنحته.
- تعذر تزويد المبنى التاريخي بأجهزة حديثة متعلقة بالإرشاد داخل المتحف والأجهزة السمعية البصرية (العابدين، 2010، صفحة 44).
- تعذر إمكانية توسعة المتحف أو إضافة أجنحة جديدة له، كإعداد المكاتب الضرورية لإدارة المتحف، وقاعات المحاضرات وقاعات للعرض والمعارض المؤقتة.
- تعذر إدخال المصاعد الكهربائية، وإقامة مآرب للمتحف لخدمة العمال والزوار.
- تعذر استقبال عدد كبير من الأفواج الزائرين في آن واحد (العابدين، 2010، صفحة 44).

3.3- الحلول المقترحة:

تتمثل الشروط الواجب توفرها في المباني المرشحة لاحتضان المتاحف فيما يلي:

- تناسق فضائه مع وظائف المتحف الحديث.
- تحويل المباني التاريخية إلى متاحف يجب أن يكون قائما على عنصرين أساسين يتمثلان في إدراك قيمة ذلك المبنى من الناحية التاريخية، وضرورة استيفاء تلك المباني ما تحتاجه المتاحف من مرافق معمارية تساير وظائفه المتعددة.
- يحتاج استعمال البناء أو تحويله إلى متحف إلى القيام ببعض الإصلاحات الضرورية كالإنارة وتمديدات المياه والتدفئة على أن يتم ذلك بعد دراسة دقيقة (العابدين، 2010، صفحة 110).
- يجب ألّا تلحق التعديلات والإضافات التي يفرضها استخدام البناء أيّ تغيير ملموس في شكله أو هندسته أو طابعه التاريخي.

- يجب أن تميز العين المجردة بسهولة ويسر بين البناء التاريخي وبين المعروضات التي عرضت فيه، لاسيما إذا تمّ عرض تحف تشابه مادتها، أي مادة البناء ولابد في هذه الحالة من إدخال عنصر عازل بينهما بالاعتماد على المادة أو الشكل أو اللون.
- في حالة وجود أي إضافات إنشائية تتطلبها الوظيفة ينبغي إحداثها بشكل متوافق ومنسجم مع طابع المبنى قديما، وفي نفس الوقت تكون حاملة لطابع العصر الذي شيدت فيه (العابدين، 2010، صفحة 115).
- عند إعادة توظيف مبنى ما، ووضع متطلبات الوظيفة الجديدة من حيّز وتوظيف فراغات المبنى القائم فإنّ ذلك يتطلب التغيير الداخلي من خلال مزج الحيز، أو تقسيمها أو إعادة توظيفها.
- الامتداد الداخلي يتلخص في زيادة المساحة المستخدمة داخل المبنى وذلك بالاستفادة من ارتفاع أسقف المباني القديمة، والتي تسمح بعمل أدوار جديدة داخلية أو عمل أدوار جديدة داخل الأفنية الداخلية المغطاة.
- التخفيف من الارتدادات والهزات الأرضية المفاجئة، إذ يجب على محافظ المتحف أن يواجه الأخطار الطبيعية كالزلازل والأخطار الأخرى كالسيول مثلا التي يمكن تفاديها أو التقليل من نتائجها، حيث أهم شيء يمكن فعله بهذا الخصوص (الأبنية المعاد تأهيلها وتوظيفها بوظائف متحفية) هو زيادة مقاومة المبنى (نادية بلقندوز، كريمة بوشيخي، 2006، الصفحات 73-74).

4- إعادة توظيف المباني التاريخية متاحف:

مع تطورات وتحولات القرن التاسع عشر السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومع اكتشافاته واختراعاته العلمية والتقدم التكنولوجي الذي أثّر بشكل واضح على أسلوب المعيشة، بسبب كلّ هذه التغيرات يطرح مشكل البحث عن وظيفة

جديدة للمعالم والمباني التاريخية الأثرية التي لم تعد تؤدي وظيفتها الأصلية التي شيّدت من أجلها ولذلك على المعلم التاريخي أن يتأقلم مع متطلبات الحياة المعاصرة. ومن أجل تحقيق هذا الهدف علينا التفكير في إعادة استعماله من جديد لأنّ الوظيفة الأصلية للمعلم تختفي شيئا فشيئا، إلاّ أنّه عادة ما تكون الأضرار الناجمة عن سوء استغلال المعلم واستعماله في وظيفة غير مناسبة هي الأسوأ من الأضرار التي تسبّبها العوامل الطبيعية عبر الزمن.

إنّ إعادة توظيف المباني عبارة عن وضع جملة من المحددات لإعادة المبنى بصورته الحالية لأداء وظائفه القديمة، أو أيّ وظيفة جديدة ومناسبة وذلك من خلال الإصلاح أو التطوير مع الحفاظ على أجزاء المبنى وعناصره التي تحمل قيما تاريخية أو ثقافية (شتيح، 2011 ، الصفحات 112-113).

1.4- فوائد إعادة توظيف المعالم التاريخية:

ففي إعادة تأهيل المبنى الأثري واستخدامه لوظيفة جديدة ضمان أكيد لاستمراريته، فعند وجود أشخاص فيه سيعملون علي صيانته باستمرار خاصة إذا وظف لغرض من ورائه مردود اقتصادي كأن يؤجر إلى الجمعيات الثقافية أو يستخدم كنزل أو متحف.

1.1.4- فوائد اجتماعية:

يحافظ الناس علي معالمهم ومدنهم التاريخية وبالتالي يحافظون على هويتهم وعلى أواصرهم الاجتماعية والإنسانية.

2.1.4- فوائد ثقافية:

يحافظ على الفنّ والعمارة والآثار ويساهم في ترقية عمارة الحاضر والمستقبل لما يمثله التراث المعماري كمصدر للاستلهام والحفاظ على الأنماط المعمارية الخاصة بكلّ شعب.

3.1.4- فوائد اقتصادية:

إعادة التوظيف لمعلم قائم أوفر اقتصاديا من الهدم وإعادة البناء وما يرافقهما من تكاليف لإزالة الأنقاض وإنشاء خدمات ومرافق صحية واستهلاك للطاقة والبناء.

4.1.4- فوائد بيئية:

المعالم التاريخية القديمة أكثر ملائمة للبيئة فالمواد التي كانت تبنى منها كالطين والجير والحجارة هي مواد طبيعية لا تسبّب أذى للبيئة ولا تسبّب أيضا التلوث (صالح، 1992، صفحة 04).

2.4- توجهات إعادة توظيف المعالم التاريخية في الحياة المعاصرة:

إنّ إعادة توظيف المعالم التاريخية تمثل فائدة خاصة من الجانب التاريخي والمعماري لأنّ هناك فارقا في الزمن والاحتياجات بين الحاوي (المعلم) والمحتوي (الوظيفة) نتج عن ذلك عدة توجهات اختلفت في كيفية بعثها من جديد للحياة المعاصرة ومن أبرزها:

1.2.4- المحافظون:

الذين يودّون أن تحافظ المباني التاريخية على طابعها الأصلي من دون أي تعديل أو تغيير وفي غالب الأحيان يعاد توظيفها كمتاحف.

2.2.4- التقدميون:

الذين يفضّلون تكييف المبنى مع عصرنا الحالي وبما يتوافق مع الوظائف الجديدة، لأنّهم يعتبرون التعديلات والإضافات شاهدا علي تطور المبنى في عصرنا الحاضر، حيث يتجاوز ويتعدى الغرض من عملية إعادة توظيف المعالم التاريخية "الحفاظ السلبي" ذو الطابع المتحفي إلى مفهوم أكثر فائدة وشمولية وهو "الحفاظ الإيجابي" وهو إعادة إدراج المعلم في الحياة المعاصرة (شتيح، 2011 ، صفحة 135).

5- إعادة تأهيل دار الأمير عبد القادر وتحويله لمتحف:

1.5- التعريف بدار الأمير عبد القادر:

يقع قصر الباي المعروف باسم دار الأمير عبد القادر في وسط مدينة المدية، تحديدا في القصبة بالحي القديم المعروف "بالروراربلي". يحيط هذا المعلم من الجهة الشمالية والشرقية شارعان، شارع "ولد خاوي علي" وشارع "الإخوة فخار"، ومن الجهة الجنوبية نجد ساحة الشهداء.

هناك رأين حول تاريخ بناء القصر، حيث هناك من يقول أنّه يعود إلى الباي "مصطفى بومرزاق"، آخر بايات التيطري (1819م – 1830م)، وتمّ بنائه ما بين سنتي 1819م – 1821م (مصلحة الأرشيف، 1982)، والرأي الثاني يقول أنّ فترة بناء هذا القصر هو نفس فترة بناء الجامع المالكي في 942هـ الموافق لـ 1535م (فخار، 2008، صفحة 11).

2.5- حالة الحفظ والصيانة:

تعد دار الباي بالمدية من بين أهم المعالم الأثرية التي تزخر بها الولاية، وهي عبارة عن موضع للإقامة وتسيير شؤون البلاد، تمّ إنجازها خلال الفترة العثمانية، أي بعد استقرار الأتراك العثمانيون بولاية المدية.

من المؤكد أنّ ذاك المبنى الذي شيّده العثمانيون للإقامة ذات قيمة أثرية، وأهمية تاريخية لا يمكن تجاهلها على الإطلاق، خاصة وأنّها تعرفنا بطابع الحياة والمعيشة في المدية أثناء تلك الحقبة، وتبرز الأهمية التي كان يحتلها المبنى الأثري أو هذه الدار آنذاك، كما تكشف أنّ المنطقة خلال التواجد العثماني لم تكن تعاني من أزمة اقتصادية أو اجتماعية.

إنّ دار الباي في حالة حفظ حسنة، خاصة بعد تحويله إلى متحف وطني. وللمحافظة على هذا الإرث الحضاري، شرعت مديرية الثقافة لولاية المدية في الإلحاح على الوزارة المعنية لإعادة النظر في هذه المعالم التاريخية الهامة، هذا

يظهر من خلال طلب مديرية الثقافية المكلفة بحماية الآثار في تصنيف هذه المعالم وحمايتها في إجراء دراسة ترميم للمبنى كمبادرة أولية للحفاظ عليها، وإخراجها من طي النسيان.

3.5- تصنيف الموقع:

إنّ دار الباي، كمعلم تاريخي، لها أهمية معمارية وتاريخية كبرى، إذ تعتبر وثيقة حيّة نستطيع أن نستنبط منها معلومات هامة في جميع الميادين، خاصة الجانب الاقتصادي، والاجتماعي والسياسي في العهد العثماني، إضافة إلى موقعها الإستراتيجي بالولاية. وما زاد من أهميتها توظيفها متحفا في الفترة الحالية.

صنفت دار الباي معلما تاريخيا ضمن قائمة التراث الوطني يوم 09 مارس 1993م، ونشر القرار في الجريدة الرسمية رقم 48 يوم 21 جويلية 1993م، وهيئ المعلم متحفا للفنون والتقاليد الشعبية لمدينة المدية، انطلق رسميا في أفريل 2011م بمناسبة شهر التراث.

4.5- الوصف الإنشائي لدار الباي:

تتربّع دار باي بايليك التيطري على مساحة 880م^2 تضمّ هذه الدار طابقين، طابق أرضي وطابق علوي ويربط بينهما سلم داخلي محاط بصحن، وهي ذات طابع هندسي معماري عثماني إسلامي، شيّدت على شكل صحون داخلية محاطة من جوانبها الأربعة بأجنحة مكونة من أروقة وغرف، هذا النمط البنائي والعمراني يعتمد على جدران سميكة تقاوم ثقل سقوفها التي عادة ما تحمل قباب، اعتُمِد في بناء هذه الدار على الأجر الصيني الممزوج بالحجر والرمل والمواد الرابطة، كما تضمّ دار الباي ساحتين خارجيتين الأولى شمالية والثانية شرقية (متحف المدية، 2015)

5.5- التصنيف الوظيفي لعمارة المتحف:

عبارة عن عمارة مدنية لفترة عثمانية خاصة بالباي، ووظيفته مقر إقامة، مقر حكم سياسي، عسكري، واجتماعي للباي ثم مقر خلافة الشيخ "محمد أبركان"، وحاليا تم تهيئته متحفا وطنيا خاصا بالفنون والتقاليد الشعبية.

6.5- الخصائص المعمارية للقصر:

إنّ كلّ قصر من القصور العثمانية بمدينة الجزائر بصفة عامة ومدينة المدية بصفة خاصة، يتميّز بنوع من الخصوصية سواء في فترة أو ظروف إنشائه أو حتى في بعض عناصره المعمارية، ومن أهمّ مميّزات قصر باي التيطري من حيث طابعه وعناصره المعمارية نذكر:

- ينطوي القصر على طابقين فقط مسقف بمادة القرميد.
- انتشار مادة الجص في الأقواس وأعمدة غرف القصر.
- يضمّ القصر من الجهة الغربية ملحقا على الأرجح هو إسطبل لأحصنة الباي.
- تحتوي السقيفة الأولى من المدخل الشمالي الأصلي علي إطار ثاني مشابه تماما لإطار المدخل الرئيسي.
- انتشار مادة الحجر الجيري الأصفر على الأطر وأعمدة الصحن (إدريس، 2012، صفحة 45).

7.5- فضاءات المتحف:

المتحف عبارة عن قاعات عرض (فضاءات) لمختلف المراحل التاريخية المعاصرة للتيطري مدعمة بمختلف الوسائل ذات علاقة بكلّ مرحلة كذلك تصاميم ودعائم فوتوغرافية، خلال تجوال الزائر للمتحف يمكنه التعرف على أهمّ الموروثات التي تبرز التنوع الثقافي الذي تتميّز به المنطقة، خاصة ذلك التنوع الذي يكشف عن التراث البربري والعربي في مختلف مناحي الحياة،أين نجد وسائل متنوعة وغنية من ملابس تقليدية، أواني منزلية فخارية، أدوات مهنية ذات علاقة بالتراث التقليدي المحلي.

1.7.5- فضاء النسيج:(*Espace tissage*)

يعرض فيه أدوات ومواد النسيج (كالمنسج، المغزل، القرداش، المشط...) وأهمّ الصناعات التقليدية ذات الطابع المحلي والفني الأصيل التي تعود جذورها إلى عهد قديم توارثته الأجيال، وما تزال تصاميم هذه الصناعات تجسدها أنامل أبناء هذه المنطقة منها: البرنوس والقشابية (مصنوعة من الوبر أو الصوف)، ونسيج الزرابي، والحنبل.

2.7.5- فضاء الفخار وصناعته (*La poterie*):

يضمّ هذا الفضاء مجموعة من المجسّمات لنساء بربر يرتدون اللّباس التقليدي البربري، يقومون بصنع أواني فخارية وزخرفتها، كما يعرض فيه مجموعة من الأدوات المصنوعة من الطين وواجهة مخصصة لعرض أواني فخارية (أواني لحفظ الأغذية والطهي كالجرة والبرمة والصحون).

3.7.5- فضاء البدو والرحل (*Les nomades*):

وهو نموذج للعادات والتقاليد الشعبية التي تحمل في طياتها التراث الحقيقي لمنطقة جنوب المدية، يحوي هذا الفضاء خيمة أولاد نايل مفرشة من الداخل بالحنبل، وتضمّ الخيمة أدوات عديدة منها: النافخ، الشكوة، أواني منزلية فخارية، السلال.

4.7.5- فضاء الدين والدولة:

يمثل غرفة الاستقبال والراحة للباي وهي نموذج للعادات والتناظر في شؤون الرعية وأيضا الشخصيات الدينية.

5.7.5- الفضاء النسوي (*Espace féminin*):

يعرض فيه قعدة مْدانية نسائية تمثل عادات وتقاليد عرفتها المنطقة من خلال اللباس والأدوات المستعملة آنذاك.

6.7.5- فضاء الأدب والثقافة:

يشتمل هذا الفضاء على شخصيات تركت بصماتها في المنطقة كالشيخ فضيل اسكندر (1901م-1982م)، الشيخ مصطفى فخار(1892م-1979م)، الشيخ إبراهيم بن دالي براهم (1907م-1959م)، العلامة محمد بن أبي شنب (1869م-1929م)، الفنان حسن الحسني (1916م-1987م)، محمد المحبوب اسطمبولي (1914م-2001م) ومحبوب باتي (1919م- 2000م).

7.7.5- فضاء الأمير عبد القادر:

الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورائد المقاومة الشعبية الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي ما بين سنتي 1807م و 1883م، يضمّ هذا الفضاء مجسم لشخص الأمير عبد القادر، وواجهة يعرض بها سيف الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر. وأخرى تحوي سرجين أحدهما للأمير خالد والثاني من مقاومة الأمير عبد القادر، كما يعرض في هذا الفضاء أدوات كتابة تعود لحقبة الأمير عبد القادر.

6- توظيف دار الأمير كمتحف ومدى نجاح عملية إعادة تأهيله:

دار باي بايلك التيطري المعروفة بدار"الأمير عبد القادر"، وهي المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية حاليا. يقع هذا المعلم بالمدية العتيقة، جنوب باب الأقواس (متحف المدية، 2015، صفحة 08).

يعود تاريخ بناء هذه التحفة المعمارية إلى العهد العثماني، حيث تعاقب عليها العديد من البايات آخرهم الباي "مصطفى بومزراق" في الفترة الممتدة ما بين 1819م_1830م، حيث قام هذا الباي بالعديد من الإنجازات خلال فترة حكمه (متحف المدية، 2015، صفحة 11).

يعتبر التراث العمراني من أهم المصادر المادية عن النشاطات الإنسانية الاجتماعية والثقافية وهو شاهد على حقبات زمنية كان لها بصمتها عبر التاريخ نظرا للأحداث الحاسمة التي مرّ بها وهذا ما تجلى في دار الباي بالمدية، بحيث تعتبر مصدرا هاما

للمعلومات فهي تعطينا القدرة على استرجاع الفاقد من المعلومات وإيجاد حلول وإجابات للمشاكل الجديدة، وهي من أهم المصادر التي تمدنا بمعلومات عن أناس عاشوا فيها ومارسوا النشاطات في عهود سابقة وذلك من خلال تتبّع الحياة الإنسانية والاجتماعية وتطوراتها، وهي عبارة عن مصدر غير متجدّد ممّا يدعونا إلى الحفاظ عليها كونها بشكل عناصر ثمينة ويجب التأكد من أنّها تدار بطريقة تظهر التقدير والاحترام لهؤلاء الذين عاشوا قبلنا وتظهر الحرص والاعتبار للذين سيأتون من بعدنا.

7- دور المتاحف المقامة على المباني الأثرية في التنمية السياحية:

للسياحة المتحفية دور وأهمية كبيرة في مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ظهرت بشكل موازي لنمو المجتمعات، حيث تساهم المتاحف المقامة على المباني الأثرية في الترويج للسياحة ورفع مستوى الشعور بالانتماء للوطن وتعزيز التبادل الثقافي والحضاري، فضلا عن تعريف الشعوب الأخرى بثقافة وتراث الأمة عن طريق خلق جو التفاعل والاحتكاك بين سكان المنطقة والسياح، من خلال النشاطات والتظاهرات مثل المناسبات الوطنية، وإحياء شهر التراث من 18 أفريل إلى 18 ماي أين يتم عرض التحف الأثرية والشواهد التاريخية المصنفة، كما أصبحت السياحة اليوم الصناعة الأولى في العالم وهذا بالنظر لما توفره من مداخيل بالعملة الصعبة، وخلق مناصب شغل، وتدفق سياحي كبير.

وتساهم السياحة في تحسين العلاقات بين الدول من خلال دعم الصداقة بين شعوبها بفضل العلاقات الدولية التي تنشأ بينها، كما يمكن الإشارة إلى أنّ النتائج الإيجابية للسياحة المحقّقة على المستويين الاقتصادي والاجتماعي من شأنها أن تساهم في نشر مبادئ السلام العالمي (بظاظو، 2009، صفحة 222).

ويتمثل دور المتحف في تنمية السياحة أيضا في استقطاب العلماء والفنانين والأدباء في مختلف المجالات لأغراض ثقافية وعلمية، حيث تساهم هذه الفئة المثقفة في نشر تاريخ وثقافة المنطقة والتعريف بها في مختلف أنحاء العالم.

8- خاتمة:

أثبتت المباني السكنية التي حوّلت إلى متاحف، أو التي تمّ إعادة توظيفها لأغراض وظيفية أخرى نتائج مرضية بشكل كبير وهي إقامة المتاحف في بعض المباني القديمة التي تعطيها مميزاتها المعمارية والتاريخية قيمة معيّنة، وهذا ما تبيّنه دار الباي بالمدية الذي مازال يحتفظ بكلّ قيمه، ويمكن تصنيف المباني الأثرية التي أعيد تأهيلها على النحو التالي:

- المبنى الذي له ميزة تاريخية وفنية ومازال يحوي الأثاث ومجموعات الفن التي كانت فيه في القرون السابقة.
- المبنى الذي له ميزة تاريخية حضارية وفنية والذي اختفت منه محتوياته الأصلية ولكن زخارفه مازالت باقية سليمة أو يمكن إعادة تأثيثه.
- المبنى الذي احتفظ فقط بمظهره الخارجي.
- المبنى الذي يكون بالرغم من قدمه، لا يحتفظ بأيّ مظاهر مفيدة سواء في الخارج أو في الداخل.

وفي أحوال كثيرة يحدّد الاختيار اعتبارات اقتصادية ونفعية، إذ أنّه من الأفضل استعمال أحد المباني القائمة فعلا بدلا من إنشاء متحف جديد. وفي بعض الحالات يكون الدافع هو إيجاد غرض عملي وثقافي لبناء قديم وبذلك يحفظونه من التعرض لأخطار تركه مهجورا يقاسي تغييرات غير مرغوب فيها، ومن إيجابيات عملية إعادة التوظيف نذكر:

- إعادة توظيف المبنى يساهم في المحافظة عليه وصيانته بشكل دوري.

- توظيف المبنى كمتحف يوفر تكلفة بناء متحف جديد بشرط ألّا تفوق تكلفة إعادة تهيئة وتأهيله تكلفة انجاز متحف جديد.

من خلال الدراسة التي قمنا بها حول إعادة تأهيل المباني الأثرية كمتاحف ودورها في التنمية السياحية، توصلنا إلى مجموعة من النتائج نلخص أهمّها فيما يلي:

- إتباع الأسس والقواعد التي يجب مراعاتها في أعمال إعادة تأهيل المباني التاريخية كمتاحف.
- الحفاظ على نوع ونمط المبنى الأثري الذي أنشأ من أجله.
- يعتبر القطاع السياحي من القطاعات المهمّة داخل أيّ بلد إذ أنّه عامل مساعد لتنمية الاقتصاد.
- هناك ارتباط وثيق بين قطاع السياحة والمتحف، فهذا الأخير يلعب دورا هاما في تحسين ودعم وترقية القطاع السياحي وإنعاشه.
- تساهم المتاحف في الترويج للسياحة من خلال إقامة معارض وتظاهرات وملتقيات وأيام دراسية، وتحسيسية للتعريف بها من أجل جذب السيّاح.

وبعد عرض لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، نلخص فيما يلي بعض المقترحات والتوصيات التي يمكن أن تفيدنا في تدعيم هذا النشاط، وتقوية المجهودات المبذولة في هذا الاتجاه:

- ضرورة الاهتمام بهذه المباني، ومواجهة التحديات والإشكالات الفنية والمعمارية التي تواجه العاملين في مجال حفظها، باعتبارها بعد ثقافي وحضاري ورافد سياحي للأمّة.
- إقامة مزيد من التعاون والاتفاقيات المحلية والدولية مع اليونسكو، والمنظمات والهيآت التي تشرف على حماية وإعادة تأهيل هذا النوع من التراث.

- التكوين في مجال التواصل والاتصال للطاقم المشرف على الاستقبال والتوجيه داخل المتحف، مع ضرورة توفير محتويات سمعية بصرية رقمية حديثة للمساهمة في عملية الإرشاد والتوجيه للسياح.
- تعزيز الوصول إلى المؤسسة المتحفية من خلال المتاحف الافتراضية، وكذا مواقع التواصل الاجتماعي قصد الترويج لها.
- التنسيق مع الوكالات السياحية لتنظيم زيارات إلى المتاحف للسياح الجزائريين والأجانب، وإسهام كافة المؤسسات التي لها علاقة بتنمية وترقية النشاطات السياحية، وذلك بربط أنشطة المتاحف بحركة السياحة والثقافة على المستوى الداخلي والخارجي.
- وضع مخطط يحدد المناطق السياحية حسب النمط العمراني لكلّ منطقة.
- تطوير المجال السياحي للجزائر وإبرازها كوجهة سياحية عالمية باستغلال الموارد الثقافية والطبيعية التي تزخر بها وذلك بتحسين وتطوير المنشآت والخدمات السياحية.
- إعادة تأهيل وترقية المباني والهياكل التاريخية.
- الاهتمام بالسياسات الإشهارية لتسويق للسياحة الأثرية عبر جميع وسائل الإعلام، وإنشاء بوابة الكترونية للترويج للمعالم الأثرية السياحية.
- تفعيل دور المجتمع المدني في عملية حماية التراث والمحافظة عليه، وإبراز دوره الكبير في مساهمته في دفع عجلة القطاع السياحي وذلك من خلال نشر الوعي الثقافي والسياحي لدى الساكنة.

9- المراجع

أ. باللغة العربية:

- أدامز فيليب وآخرون. (1993). دليل تنظيم المتاحف إرشادات علمية. (محمد حسن عبد الرحمن،، المترجمون) الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- مصلحة الأرشيف. (1982). تقرير عن دار الباي بالمدية. الجزائر: حصن رياس البحر 23.
- ابراهيم بظاظو. (2009). الجغرافيا والمعالم السياحية. الأردن: الوراق للنشر والتوزيع.
- ابن خلدون. (1999). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- ابن خلدون. (1999). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- بن صالح محمد عبد الله صالح. (1992). متطلبات و إجراءات البرمجة لإعادة تأهيل مرافق قائمة بموقع عام محدد، العمارة و التخطيط. مجلة جامعة الملك سعود ، المجلد العاشر.
- عز الدين شتيح. (2011). إعادة توظيف المعالم التاريخية "بناء الأمس وظيفة اليوم"، حالة دراسة حصن بوسكراين. الجزائر: جامعة الاغواط.
- فاتن إدريس. (2012). دراسة تقييمية لأعمال ترميم وتهيئة قصر الباي التيطري، دار الأمير بالمدية. الجزائر: جامعة الجزائر.
- متحف المدية. (2015). تقرير عن المتحف. المدية: مديرية المتحف العمومي الوطني للفنون و التقاليد الشعبية.
- محمود بن مصطفى فخار. (2008). موجز تاريخ المدية. المدية: مديرية الثقافة.
- محمود زين العابدين. (2010). تقويم تجربة إعادة تأهيل بعض المباني التاريخية العثمانية في سورية بوظائف ثقافية، حالة التوظيف المتحفي، دراسة مقارنة. سوريا.
- نادية بلقندوز، كريمة بوشيخي. (2006). تأهيل المعلم التاريخي في الحياة المعاصرة إجراءات عملية تطبيقية على المقر الحالي لمتحف تلمسان (الإصدار جامعة تلمسان). تلمسان، الجزائر.

ب. باللغة الأجنبية:

- Charte de Lisbonne .(1955) .*entretiens ,program 98/4*. تاريخ الاسترداد 25Avril, 2022 من ،www.vtm. Aso. Com.
- Choay, merlin. (2005). *dictionnaire de l'urbanisme et de réaménagement.* paris: presse universitaire de France.
- ICOMOS) .(1999) .pour la conservation de lieux chartes charte de bura la charte du icomos 25 تاريخ الاسترداد Avril, 2022 من ، المنتج) ، http://www.internationol.icomos.org.